انطباعات الرحالة المصريين عن الحياة الاقتصادية في ليبيا ١٩٠٢ - ١٩٣٩م

د. مفتاح بلعيد غويطة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب والعلوم الخمس جامعة المرقب ليبيا

انطباعات الرحالة المصريين عن الحياة الاقتصادية في ليبيا ١٩٠٢-١٩٣٩م

د. مفتاح بلعيد غويطة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب والعلوم الخمس جامعة المرقب ليبيا

تتناول هذه الدراسة الانطباعات التي سجلها الرحالة المصريون في كتبهم عن الحياة الاقتصادية في ليبيا، ضمن مشاهدتهم أو معايشتهم لبعض مناحي الحياة حال وجودهم في ليبيا خلال الفترة المشار إليها، ودونت تلك الانطباعات وفق ثقافة ووجهة نظر كل منهم، والغايات التي جاء من أجلها إلى ليبيا، والمدن والمناطق التي زارها وعايش الحياة الاقتصادية فيها عن كثب. والواقع أنه رغم قصر الفترة الزمنية التي استغرقها كل رحالة في ليبيا إلا أن مؤلفاتهم التي أصدروها بعيد رجوعهم إلى مصر وفرت معلومات غاية في الأهمية عن جوانب من الحياة الاقتصادية لليبيين في تلك الفترة.

وقبل الحديث عن هذا الموضوع تجدر الإشارة إلى أمرين، أولهما: يتعلق بالتحديد الزمني للدراسة، وهو أمر قد يلتبس على القارئ من حيث لماذا حددت الفترة على النحو المشار إليه آنفا؟. والتحديد ببساطة كان راجعًا لتاريخ أول وصف ويعود لسنة ١٩٠٢م وآخر وصف منشور سجل عن الحياة الاقتصادية في ليبيا من طرف آخر رحالة مصري زار ليبيا قبيل الحرب العالمية الثانية، ومن ثم فالتحديد الزمني لم يراع الفترة السياسية بقدر مراعاته للقيمة العلمية لكتابات أولئك الرحالة، وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي الليبي أواخر العهد العثماني الثاني ومعظم فترة الحكم الإيطالي.

وأما ثانيهما: فإنه يخرج عن هذا المقام مؤلفات مجموعة من زائري ليبيا خلال العهد الإيطالي، فهي إما لكتاب مصريين جاءوا إلى ليبيا لظروف دولية، تتعلق بالجانب الحربي أو السياسي، وبالتالي اهتمت تلك الكتابات بهذين

الجانبين بالدرجة الأولى، وإما كانت لكتاب ليسوا مصريين أصلا، كانوا قد أقاموا في مصر فترة من الزمن، وتقلدوا فيها مناصب رفيعة المستوى، جاءوا إلى ليبيا لهدف واضح، وهو تمجيد السياسة الفاشية الإيطالية في المستعمرات الإيطالية في إفريقيا[١]، ولا يعني هذا البتة دعوة الباحثين إلى عدم الاعتماد على ما ورد في مثل هذه الكتابات من معلومات عند الضرورة في توضيح معلومة، أو مقارنة رأي مؤرخ أو رحالة بالحقائق التاريخية الواردة التي شملتها هذه الفترة.

وعلى أية حال يعرض البحث للتعريف أولاً بالرحالة المصريين، ثم بيان ما ذكروه من وصف للحياة الاقتصادية خلال فترة وجودهم في ليبيا.

أولا: التعريف بالرحالة ومؤلفاتهم وأسباب الرحلة ومواعيدها[٢]:

١- الرحالة محمد فريد المحامي: زار محمد فريد مدينة طرابلس خلال سنة ١٩٠٢م، في رحلة طاف خلالها مالطا وإيطاليا وتونس ثم مدينة طرابلس ومنها إلى مالطا ثانية فمصر، ولما عاد إلى القاهرة دون مشاهداته خلال الرحلة في كتاب طبع في السنة ذاتها، أسماه من مصر إلى مصر، أشار فيه إلى عدة جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية بمدينة طرابلس في بداية القرن العشرين[٣].

لقد جاءت رحلة محمد فريد المحامي إلى طرابلس وتزامنت مع تصاعد وتيرة التحرك الإيطالي في العالم بشكل عام ومصر بشكل خاص، على المستوى الدعائي والإعلامي والدبلوماسي والاستخباراتي من أجل إنجاح الحملة الإيطالية المرتقبة على ليبيا، لذا فإن هذه الشخصية المصرية اختيرت من قبل جهاز الاستخبارات الإيطالي في مصر لترصد من جانبها الأحوال في مدينة طرابلس[٤]، ولعل زيارته لإيطاليا مباشرة قبل زيارة ليبيا خير دليل على ذلك، كما أنه لم ينس خلال فترة إقامته في المدينة، والتي استغرقت يوما واحدا (٧ سبتمبر ١٩٠٢م) الاهتمام بالمنشآت العسكرية والدفاعية بالمدينة، وموقف السكان من

التجنيد العسكري العثماني، وموقفهم من الحكم العثماني برمته، الموقف الرسمي والشعبي في ليبيا لاحتمال غزو إيطاليا ليبيا، وأشار إلى عدد الجنود الأتراك ومدي تسليحهم، وأكد على عدم وجود الاستعدادات الحربية والعسكرية في طرابلس، حيث لا يوجد الأسطول البحري الحربي اللازم لرد العدوان الإيطالي في حالة وقوعه، وكذلك انعدام الاتصالات التلغرافية بين الولاية والدولة العثمانية؛ الأمر الذي قد يضطرها للتسليم لإيطاليا إذا ما وقع الغزو(٥).

٢-الرحالة أحمد حسنين باشا: كان أحمد حسنين من الشخصيات المقربة من النظام الحاكم في مصر، كلف بمرافقة الوفد الإنجليزي في مفاوضات الزويتينة إبان الحرب العالمية الأولى، بين الوفد الإنجليزي والوفد الإيطالي من جانب، والسنوسيين بزعامة الأمير إدريس السنوسي من جانب آخر، هذه التجربة كونت لديه خبرة ببعض المناطق الليبية، ومهدت إلى إقامة علاقات وطيدة مع بعض الزعماء الليبيين، بما في ذلك الأمير إدريس السنوسي(٦)؛ مما مكنه من القيام خلال سنتي ١٩٢٠-١٩٢٣م برحلة استكشافية في الصحراء الليبية، شملت الجغبوب وجالو والكفرة وواحتي أركنو والعوينات، هذه الرحلة نشرت في مؤلف مطبوع تحت عنوان: (في صحراء ليبيا)، كانت تسجيلا لانطباعات الرحالة عن المعالم الجغرافية والطبيعية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية في المناطق التي زارها خلال تلك الفترة من العهد الإيطالي(٧).

لقد حاول أحمد حسنين باشا من خلال رحلته داخل الصحراء الليبية إثبات مصرية واحتي أركنو والعوينات وما جاورهما من مناطق على الحدود المصرية الجنوبية الغربية، والتي تشكل من حيث الموقع أهمية إستراتيجية واقتصادية لمصر، خاصة وأن هناك مفاوضات مصرية إيطالية حول الحدود كانت تجرى وبوتيرة متسارعة، أفضت إلى إبرام اتفاقية بين البلدين ديسمبر ١٩٢٥م بالخصوص(٨).

٣- الرحالة محمد ثابت: كان محمد ثابت صاحب كتاب جولة في ربوع العالم

الإسلامي من المدرسين الذين تولوا وظائف متعددة في وزارة التعليم المصري، والكتاب عبارة عن وصف لرحلة قام بها المؤلف على الأرجح خلال عامي ١٩٣٣-١٩٣٤ م، وشملت العديد من بلدان العالم الإسلامي في أسيا وأفريقيا، بما في ذلك المدن الليبية: درنة وبنغازي وطرابلس، وجاءت الرحلة ـ حسب قول المؤلف ـ من واقع الرغبة في الوقوف على أحوال العالم الإسلامي السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جانب، والوقوف على الدعاية الاستعمارية الإيطالية وتأثيرها في المسلمين من جانب آخر[٩]. والواقع أن جهاز الدعاية الإيطالي في مصر كان له دور مباشر في الإنفاق على رحلة محمد ثابت بوعي من الأخير أو بدونه[١٠]؛ لتلميع صورة إيطاليا التي شوهت في قلوب العرب والمسلمين بعد الفظائع التي ارتكبت في حق الليبيين، وعلى رأسها إعدام عمر المختار، الشيخ المجاهد المسن في ١٦ سبتمبر ١٩٣١م.

٤-الرحالة توفيق حبيب(الصحفي العجوز): زار الرحالة توفيق حبيب ليبيا سنة ١٩٣٨م لأول مرة، فوصل مدينة طرابلس ومكث بها خمسة أيام ثم غادرها إلى بنغازي، حيث مكث بها يومين، وهو الآخر أبدى دهشته من الأعمال والإنجازات الإيطالية في ليبيا، لكن مذكراته في الواقع حفلت بمعلومات غاية في الأهمية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينتي طرابلس وبنغازي في العهد الايطالي، متضمنة الإشارة إلى العادات والتقاليد ودور الأجانب واليهود الاقتصادي، وأحوال التعليم والصحة والصحافة والعمران[١١].

لقد كانت رحلة توفيق حبيب هذه من ضمن خطط جهاز الدعاية الفاشي في القاهرة، حيث أرسل توفيق حبيب المعروف بالصحفي العجوز في مهمة دعائية بحتة، لم يكن يقصد من ورائه تمجيد الفاشية وأعمالها في ليبيا، بقدر ما كانت الأهداف أبعد من ذلك بكثير، حيث أن نذر الحرب العالمية قد أخذت تلوح في الأفق[١٢]، وهو نظرا لترحاله الدائم اختير لجمع المعلومات المهمة لحكومته وللحكومة الإنجليزية وجهاز الاستخبارات الإيطالية، أي القيام بدور العميل المزدوج أو الإخباري الناقل للأخبار والمعلومات لطالبيها دون تمييز بشرط وجود

المقابل.

ومما يدل على هذا أنه لما غادر توفيق حبيب الإسكندرية بحرا جرى التعتيم على مهمته، فاتجه أولا إلى بيروت ثم اليونان فإيطاليا فمدينة طرابلس، حيث استقر به المقام بالمدينة لبعض الوقت قبل أن يسافر إلى بنغازي جوا، ومنها إلى القاهرة بذات الوسيلة، استغل رجال الاستخبارات الإيطاليين وجوده بليبيا فأطلعوه على الإنجازات الفاشية فيها، وطلبوا منه اصطحاب مطبوعات إيطالية تمجد إيطاليا الفاشية وسياستها الحميدة، وتوزيعها في القطر المصري مجانا(١٣).

وهكذا بعد اللمحة الموجزة عن الرحالة وكتبهم وملخص لمحتوياتها، والحديث عن الأسباب والدوافع التي جاءت بهم لزيارة ليبيا فإننا نجد أن تلك الرحلات قد تمت على النحو الآتي:

١-رحلة محمد فريد المحامي عام ١٩٠٢م، وزار فيها مدينة طرابلس فقط، ومدتها يوم واحد فقط وتمت عن طريق البحر.

٢- رحلة أحمد حسنين باشا ١٩٢٠-١٩٢٣م، وزار فيها الجغبوب وجالو والكفرة وأركنو والعوينات، مدتها قرابة ثلاث سنوات وتمت برا عبر الصحراء.

٣- رحلة محمد ثابت١٩٣٣/١٩٣٤م، زار فيها عن طريق البحر مدينة درنة ثم بنغازي ثم طرابلس ثم غادر الأخيرة إلى مالطا، ومدتها بضعة أيام.

٤-رحلة توفيق حبيب(الصحفي العجوز) ١٩٣٨م، زار فيها مدينة طرابلس عن طريق البحر ثم تاجوراء ثم سافر جوا إلى بنغازي، مدتها سبعة أيام، خمس منها بطرابلس، والباقي ببنغازي، ثم غادر الأخيرة جوا إلى القاهرة.

ثانيا: المؤسسات الاقتصادية والقائمون عليها:

كان يوجد بمركز مدينة طرابلس سنة ١٩٠٢م عدة مؤسسات اقتصادية، وخاصة ذات الصبغة التجارية مثل: الحوانيت والمخازن والدكاكين المتنوعة، فضلا عن مجموعة من الفنادق التي تقدم خدمات بمستويات متفاوتة لزائري المدينة

من رجال الأعمال والسائحين وغيرهم[١٤].

أما في فترة الاحتلال الإيطالي فقد تطورت بمدينة طرابلس الفنادق والمؤسسات الاقتصادية الأخرى، ولعبت دورا أكثر أهمية عن ذي قبل، ومن أبرز الفنادق الهامة كان فندق المهاري وجان أوتيل والودان والفندق الكبير، كما ازدانت المدينة بعدة مبان تجارية واقتصادية امتلكتها شركات إيطالية وأجنبية وأثرياء اليهود وبعض التجار والماليين الطرابلسيين، وفي وسط المدينة كانت توجد مكاتب شركات السياحة والطيران الإيطالية (الليتوريا)[١٥]، ووجدت إلى جانب هذه المؤسسات مجموعة من البنوك مثل: بنك روما وبنك ليبيا، ومحلات البورصة، وعدد من المطاعم والمقاهي، ودار البوستة العمومية (البريد)، وبعض المكتبات التجارية، الخاصة ببيع الكتب العلمية والمجلات والجرائد العربية والأجنبية والقطع الأثرية وأدوات الزينة، كما كان يوجد بوسط المدينة الميدان المخصص لإقامة المعارض والأسواق الدولية السنوية، وكان يوجد بالمدينة أيضا عدة مخازن لتخزين الحبوب مثل: الشعير والقمح والأقمشة ونحوها[١٦].

وفي ذات الفترة التاريخية وبالنظر للطبيعة التجارية الطاغية على الاقتصاد المحلي كانت المدن والواحات الواقعة في جوف الصحراء مثل: جالو مكتظة بمخازن لحفظ البضائع المختلفة، وكانت مملوكة لكبار التجار والأعيان بالمدينة[١٧].

لقد كان من أبرز المؤسسات الاقتصادية التي استأثرت باهتمام الرحالة المصريين الأسواق، فقد ذكر الرحالة محمد فريد المحامي أن أسواق مدينة طرابلس في بداية القرن العشرين كانت تشبه الأسواق التونسية في الكثير من النواحي، لكن الأسواق الطرابلسية كانت أكثر اتساعا، وأسقفها أكثر ارتفاعا، وليست كلها معقودة بالبناء، بل مسقوفة بالخشب، والجزء الأوسط منها على شكل مكعب عليه أغصان العنب[١٨]. واستمر الحال مع شيء من التطوير في العهد الإيطالي، فقد كانت أسواق طرابلس ذات سقف عالية، تتوسطها شجيرات الكرم (التين)، وبها أكبر المتاجر، ويمتلك اليهود معظم الحوانيت والأبنية،

واحتفظت المدينة بالسوق القديم الذي كان قائما منذ العهد العثماني[١٩].

وفي ذات الإطار فقد زخرت مدينة طرابلس بدكاكين القصابين، وخاصة باعة لحوم الإبل، ودكاكين الملابس المختلفة المتعددة الألوان من برانس وسراويل وجلابيب بيضاء ومعاطف وحرائر ملونة، وسوق الترك كانت سوقا عامرة بالسلع المختلفة بين وطنية وشرقية، وهي تقفل يومي السبت والأحد من كل أسبوع؛ لأن غالبية التجار كانوا مسيحيين ويهود، وفي ضواحي مدينة طرابلس كانت توجد الأسواق الوطنية التي يشتغل فيها الوطنيون ببيع الخضر والفاكهة ونحوها، وبتاجوراء كان بالسوق أربعة عشر دكانا، بين جزار وبقال وقهوجي وبائع وقود وفحم، وبعض الحلاقين وأصحاب المطاحن الكهربائية[٢٠].

وفي درنة كانت السوق ضيقة ولكنها مسقوفة، صفت عليها المتاجر، وخاصة تلك التي كانت بيد طائفة اليهود[٢١]، وأما أسواق بنغازي فهي مرتبة، فأسواق الخضر والفاكهة واللحم في غاية النظافة وجمال البناء، وكانت أسواق الأقمشة مسقوفة والحوانيت والمتاجر موجودة بكثرة[٢٢].

وأما فيما يخص أسواق الواحات الليبية فإن الجغبوب كانت تعتمد على سوق البلح بسيوة، حيث تكدس أكوام البلح في سوقه الخاصة والمسماة المسطاح، وكان سوق الخميس يعقد كل أسبوع بالكفرة، وأسواق جالو لا تخلو من حركة تجارية هامة[٢٣].

ومن أشهر القائمين على المؤسسات الاقتصادية في المدن الرئيسية وخاصة ذات الطابع التجاري الإيطاليين والأجانب واليهود وفئة قليلة من العناصر الوطنية ففي طرابلس مثلا: كان عبد السلام الناقوع (الناكوع) وأحمد قنابة سنة ١٩٣٨م من كبار التجار الليبيين بالمدينة[٢٤]. لكن الرحالة الذين زاروا المدن الليبية الساحلية في العهد الفاشي مثل: درنة وبنغازي وطرابلس يتفقون على أن معظم القائمين على التجارة والأسواق بشكل عام كانوا من اليهود والأجانب[٢٥].

أما فيما يخص الطرق والمحطات التجارية الصحراوية فقد كانت تحت

إشراف القبائل التي تمر تلك الطرق بنجوعها أو في قراها، وهي فضلا على أنها لا توافق على المرور إلا بإذنها فإنها كانت تقدم خدمات هامة للمسافرين، من أهمها إتمام عمليات التبادل التجاري وبيع وإيجار إبلها للتجار المسافرين، وشكلت قبائل الزوية والمجابرة أهم مشرفين على الطريق ما بين الجغبوب وجالو والأخيرة والكفرة، وكان من أهم التجار المشرفين والقائمين على تجارة الصحراء بجالو الحاج فرحات والحاج البشاري والحاج سعيد، وأما الكفرة فكان بها الحاج أبو مطاري[٢٦].

ثالثا: الزراعة والرعي:

فيما يخص الزراعة والمحاصيل الزراعية فإن الرحالة على اختلاف ثقافتهم وظروف رحلاتهم لم ينسوا هذا الجانب، ولم يسقطوه من دائرة اهتماماتهم، وهذا راجع إلى أن هؤلاء الرحالة جاءوا من بلاد زراعية يغلب عليها الطابع الزراعي في المقام الأول، هذا من جانب ومن جانب آخر كان هؤلاء الرحالة على وعي كاف بأهمية الثروة الزراعية للاقتصاد في ليبيا، خاصة إذا ما لقيت اهتماما من أهالي البلاد وحكامها. وعلى أية حال ففي مدينة طرابلس سنة ١٩٠٢م أقر بأن الزراعة فيها كانت بدائية؛ لقلة الماء ولعدم وجود أراض صالحة للزراعة، ومن ثم فالفلاح لا يزرع إلا ما يسد حاجته من الغلال[٢٧].

لكن طرابلس في سنة ١٩٣٣م كانت تكثر فيها البساتين التي تزرع فيها الفواكه والخضراوات والأشجار المثمرة، ويعتني أهلها بزراعة المحاصيل، وخاصة محصول الشعير[٢٨]. وفي سنة ١٩٣٨م كان يوجد بمدينة طرابلس وضواحيها المزارع الشاسعة والبساتين الرائعة، وفيها تزرع الحاصلات وتربي الحيوانات، ويشتغل فيها عمال ليبيون وإيطاليون، وأن بعض تلك المزارع كانت ملكيات فردية، والبعض الآخر كانت ملكيته تعود لشركات رأسمالية أجنبية[٢٩].

كان الوضع في المنطقة الشرقية وتحديدا مدينتي درنة وبنغازي مغايرا إلى حد ما، ففي سنة ١٩٣٣م كانت الزراعة قليلة في مدينتي درنة وبنغازي والمساحات المخصصة للزراعة كانت محدودة للغاية، فوجدت في مدينة درنة

بعض أشجار النخيل، وعرف أهلها بالاعتماد على الينابيع المائية الطبيعية زراعة الخضر والفاكهة، وعلى رأسها الكروم (العنب)، وعلى الأمطار زراعة الحبوب، وفي بنغازي كانت توجد بعض أشجار النخيل وتزرع الخضروات وبعض الفواكه[٣٠].

وفي المدن والواحات الليبية الجنوبية الشرقية التي لا نجد لها ذكرا في كتب الرحالة عدا أحمد حسنين فإن الجغبوب كانت تمتاز بموقع استراتيجي هام، لكنها قليلة النخيل وقليلة الماء، والتربة فيها غير صالحة للزراعة؛ لذا فإنها تعتمد على واحة سيوة المصرية في جلب المياه والبلح وبعض الفواكه الأخرى[٣١]. أما جالو الواقعة غرب الجغبوب فإن عدد النخيل فيها كان يقدر بمائة ألف نخلة أو يزيد، بخلاف ذلك توجد في المناطق الواقعة على طريق الجغبوب جالو الأعشاب الضرورية لرعي الجمال، ومن أهمها عشب البلبال والضمران والنشا[٣٢].

أما الكفرة فإنها كانت مقصدا لشيوخ قبيلة الزوية ممن يمتلكون العبيد لفلاحة الأرض، فيزرعون الشعير والذرة، ويزرع أهالي الكفرة البطيخ والعنب والموز والقرع، كما يزرعون النعناع والورد والزيتون، هذا بخلاف النخيل الذي يزرع بشكل خاص في منطقتي الوادي والهواري[٣٣].

أما فيما يخص الرعي فقد عرفت القبائل الليبية وحسب إشارة المصادر عدة أنواع من الحيوانات ومارست حرفة الرعي. ففي طرابلس كان أهلها يربون الماشية والخراف والدواجن وبعض الدواب الأخرى[٣٤]، أما في الواحات فإن أهلها مارسوا تربية ورعي الجمال بشكل أساسي، كما عرفوا تربية حيوانات أخرى ولو بأعداد قليلة مثل: الأغنام والماعز والحمير والخيول، وعدة أنواع من الطيور مثل: الدجاج والحمام[٣٥].

وفيما يخص الإبل فقد كان هناك العديد من الليبيين الذين عرف عنهم الاهتمام بهذا الحيوان، فكانوا من كبار ملاكه والمتاجرين فيه مثل: عمر أبو

حليقة الذي كان من بين كبار مالكي الجمال في جالو، وقبائل التبو تشتهر بتربية الإبل، وإبل هذه القبيلة تعد من أصبر الجمال البدوية على السير، ويمكن استخدامها في الشمال بصحراء برقة وفي الجنوب بأراضي السودان، وكانت جمال التبو تعرف من شكل خفها واقتفاء خطواتها[٣٦].

رابعا: الصناعة والحرف:

كانت الصناعة والحرف في بداية القرن العشرين بدائية ومتواضعة أيضا، شأنها شأن الزراعة، ففي الوقت الذي احترف فيه العديد من المواطنين حرفة الصيد في البحر لسد الحاجة فإن الصناعة اقتصرت في مدينة طرابلس علي الصناعات التقليدية مثل صناعة البسط والحصر[٣٧]. ومن الجائز أن يكون ذلك راجع لطبيعة منهج التعليم الحرفي والصناعي الذي كان معمولا به في مدرسة الفنون والصنائع، حيث كان الأولاد ذكورا وإناثا يتعلمون فيها إتقان العديد من الصناعات، وخاصة صناعة الحصر[٣٨].

وفي العهد الفاشي انتشرت بطرابلس صناعة نسج الحرير والصوف، بحيث كانت المغازل والأنوال تدار بالأيدي والأرجل وتشاهد في عدة أزقة بالمدينة[٣٩]، ولما طورت مناهج التعليم الصناعي والحرفي في مدرسة الفنون والصنائع في العهد الإيطالي، بحيث كان يتم فيها تعليم بعض الصناعات والحرف مثل: النجارة والحدادة وصناعة الخزف، وصياغة الفضة، وأشغال النحاس، وتعلم زراعة البساتين، فإن الصناعات الوطنية المحلية التقليدية ازدادت انتشارا[٤٠]، فسوق المشير بطرابلس مثلا كان يوجد به قسم كبير خاص بصناع الحديد والنحاس والغزل والنسيج، وفي بنغازي عرفت الصناعة المحلية للأحذية والملابس، وبالسوق القريب من فندق برانيشي كانت هناك محلات العديد من السمكريين والنحاسين والنعالين الوطنيين، كما اشتغل بعض الصبيان في مسح الأحذية، واشتغل بعض الشباب الآخرين (ليبيين وإيطاليين) في عمليات التحميل والتفريغ والأعمال المختلفة في مطار بنغازي[٤١].

أما الصناعات الغذائية فقد عرفت بنغازي صناعة أرغفة الخبز المحلية[٤٢]،

وعرفت المدينة أيضا صناعة البسكويت والحلوى والشكولاتة الممزوجة باللبن والتوست المدهون بالزبدة[٤٣]. واشتهرت القبائل الليبية في الصحراء والواحات (الجغبوب وجالو وأوجلة والكفرة والعوينات وأركنو) بصناعة الزبدة والسمن واللبن والتوابل والخبز والزيت، والمربى واللوز المقشور، واللوز المخلوط باللبن، والعصائر والبسكويت وصناعة الفطير وصناعة ماء الورد، وتجفيف اللحم (القديد)، حيث يطبخ مع الأرز والعصيدة (البازين)[٤٤].

وعلى صعيد الصناعات الغذائية عرف عبيد التبو صناعة تجفيف لحاء النخل، ومن ثم طحنه حتى يصبح مسحوقا يؤكل مع مسحوق البلح أو الجراد[٤٥]، كما عرفت قبائل التبو والجرعان بالعوينات صناعة نوع من الطعام يسمى عبرة، وهو من أهم أنواع الطعام عندهم، حيث تغلي حبات الحنظل حتى تضيع مراراتها ويتم سحقها مع التمر أو الجراد في هاون (مهراس) من الخشب[٤٦].

فيما يخص الصناعات الجلدية فإنه كان يصنع من جلود الأغنام والماعز قرب الماء، والأحذية والسروج، كما عرفت صناعة الكراسي الجيدة التغليف، والصناديق المصنوعة من الصفيح والخشب، والحصر والسجاجيد والخيام، وعرفت صناعة الأواني النحاسية التي تستخدم في طهي الطعام، هذا بخلاف علب الصفيح التي تستخدم لنقل الماء وهي أكثر أمنا من قرب الماء المصنوعة من الجلود، وعرفت صناعة الثياب الرجالية مثل: القمصان والسراويل والصدرية (الفرملة) والجرد العربي والكوفية والعقال والقميص القطني، والملابس النسائية مثل: السراويل الرشيقة المتعددة الألوان، والقفاطين الحريرية المطرزة، هذا بخلاف البرانس الحريرية والعمائم[٤٧].

خامسا: النقل والمواصلات:

ارتبطت ليبيا وفق كتابات الرحالة بعدة طرق برية وبحرية مع العالم الخارجي واشتملت على محطات تجارية وإستراتيجية هامة. وفيما يخص الطرق البحرية فإن الموانئ الساحلية الليبية بجانب ارتباطها بالمناطق الداخلية ارتبطت

بالبلدان المجاورة مثل: مصر وتونس ومالطا وإيطاليا، وكانت السفن التجارية تعج بموانيها، فقبيل الغزو الإيطالي كانت المواصلات البحرية تتم بين مدينة طرابلس ومالطا بواسطة السفن الإيطالية والفرنسية والإنجليزية طوال فترات الأسبوع، ولا وجود لسفن عثمانية، في المقابل كان ميناء مدينة طرابلس يعج بحركة دائمة للسفن التجارية الأجنبية[٤٨].

لقد ساعد على رواج الحركة التجارية وحركة المواصلات البحرية بين ليبيا والعالم ذلك التطوير التي شهدته الموانئ الليبية، وخاصة بعد انتهاء حركة المقاومة الليبية وخضوع البلاد للحكم الإيطالي، وبالتالي فإنه مثلما كانت حركة المواصلات البحرية نشطة على الساحل الليبي الغربي فإنها كانت كذلك على الساحل الشرقي، حيث شهدت حركة السفن التجارية وسفن الركاب نشاطا ملحوظا خلال ثلاثينيات القرن العشرين، فارتبطت مدن درنة وبنغازي وبطبيعة الحال مدينة طبرق مع الموانئ المصرية البحرية وأهمها الإسكندرية من جانب، والموانئ الليبية في المنطقة الغربية، وأهمها طرابلس من جانب آخر[٤٩].

أما فيما يخص الطرق البرية ووسائل المواصلات فإن بنغازي كانت طرقها مرصوفة، وخاصة تلك التي تربط المدينة بالميناء[٥٠]، لكن المواصلات في بنغازي كانت صعبة بخلاف المواصلات في مدينة طرابلس، فعربات النقل الخاص قليلة، ومعظم المواطنين داخل المدينة كانوا يستخدمون الدراجات ناهيك عن الدواب[٥١]. أما مدينة طرابلس فكانت مرصوفة الشوارع، والحركة الانسيابية فيها متيسرة، ووسائل النقل العام والخاص موجودة، وسيارات الأجرة الداخلية والخارجية مع الضواحي والبلدان المجاورة كانت في حركة مستمرة[٥٢].

إن تطور حركة المواصلات البحرية والموانئ الليبية انعكس على الحركة التجارية الداخلية بشكل عام رغم أن الطرق البرية في أواخر العهد العثماني كانت تعتمد على الجمال والخيول، وتفتقر للخدمات الأمنية والخدمية والبريدية(التلغراف) ونحوها[٥٣]. أما في عشرينات القرن العشرين وبسبب نشاط الحركة

التجارية بين مراكز الساحل المطلة على البحر المتوسط وبلاد السودان أصبحت طرق الصحراء ومنها طريق جالو الكفرة من الطرق العامرة بالمسافرين والقوافل التجارية(٥٤).

فيما يخص الطرق الصحراوية فإنه كان يربط واحة الجغبوب بسيوة والسلوم طريقان، أحدهما مستقيم، والآخر يشبه المثلث يشكل السلوم وسيوة والجغبوب رؤوس زواياه، والمسافة بين الجغبوب وجالو٣٥٠ كيلو مترا تقريبا، وجالو من أهم واحات برقة تبعد عن الكفرة مسافة ٦٠٠ كيلو متر، وعن إجدابيا على شاطئ البحر المتوسط مسافة ٢٤٠ كيلو مترا، وتقع أوجلة على مسافة اثني عشر ميلا غرب جالو وتشتهر بالبلح، والمسافة ما بين جالو وإجدابيا خمسة أيام، وبين جالو والكفرة زهاء الخمسة عشر يوما، واستخدم بئر أبي الطفل كمكان لتجهيز القوافل المتجهة للكفرة، وهو يقع على بعد ٣٠ كيلومترا من جالو(٥٥).

فيما يتعلق بالمحطات التجارية الليبية في جوف الصحراء فإن الوصف الوحيد الذي بين أيدينا في هذا المقام ذلك الوصف الذي ذكره الرحالة أحمد حسنين، حيث أشار إلى أن موقع الجغبوب الاستراتيجي الهام جعلها نقطة رئيسية في طريق القوافل المتجهة إلى سيوة وجالو والسلوم، وواحة جالو كانت هي المركز الهام في تجارة الصحراء، وتعتبر جالو من أهم واحات برقة، وهي الواحة التي تخرج منها أكبر كمية من البلح إلي جميع الجهات، وفوق هذا فإنها المنفذ الذي تصدر عن طريقه حاصلات واداي ودارفور بعد مرورها بالكفرة، وكان يرتادها كل أسبوع قوافل مؤلفة من مائتين إلى ثلاثمائة جمل، وتزداد الحركة صيفا؛ بسبب موسم محصول البلح، والكفرة محطة لاستبدال جمال القوافل المتجهة شمالا أو المتجهة جنوبا(٥٦).

سادسا: التجارة والتبادل التجاري:

لقد كانت التجارة من أبرز المسائل التي ركز عليها الرحالة جل اهتمامهم،

وأشاروا إلى جل حركة التبادل التجاري والأسواق والأسعار وما شابه ذلك، لذا فإن كتب الرحالة قد احتوت معلومات غاية في الأهمية عن النشاط التجاري بليبيا خلال فترة الدراسة يمكن الإشارة إليها وفقا لما يلي:

أ-السلع التجارية وحركة التبادل التجاري: وصف الرحالة أحمد حسنين السلع التجارية المتبادلة والمتداولة في الأسواق والمتاجر الليبية في أكثر من موضع من كتابه، فكانت على النحو التالي: الدقيق والأرز والسكر والشاي والبلح والملح والتوابل والسجائر والجلود وقرب الماء الجلدية أو المصنوعة من الصفيح والأقمشة والأواني والخيام الحريرية والأواني النحاسية والبخور والروائح والمناديل الحريرية وأكواب الشاي والسجاجيد والشموع والمكرونة، والمسك والروائح العطرية المجلوبة من السودان، والأخشاب التي تأتي الكفرة من مصر أو بنغازي، والكتب والمخطوطات، والعبيد والبلح، والسمن والزيت والشعير والوقود، والخراطيش والأسلحة، وعلب تحوي توابل إيطالية مجلوبة من بنغازي، وأقمشة منسوجة في مانشستر الإنجليزية، وأخرى واردة من مصر، وتجلب من واداي ودار فور إلى أسواق برقة الجلود وريش النعام والعاج ونحوها[٥٧].

وفي المدن الساحلية مثل: درنة وطرابلس كانت توجد الملابس الرجالية والملابس النسائية والأردية الإفرنجية، والخواتم الذهبية الثقيلة والأساور الفضية، وجل حاجيات أهالي المدن من طعام ولباس كان مستوردا من الخارج[٥٨].

ب- الأسعار: كان من الطبيعي في حالة وجود التبادل التجاري والأسواق المليئة بالبضائع المختلفة أن تكون هناك أسعار لهذه الحاجيات، وحسب ما أفادت به كتب الرحالة فقد جاءت الأسعار وفق الجدول الآتي:

جدول يبين أسعار بعض السلع والحاجيات في ليبيا خلال فترة الدراسة[٥٩]:

نوع السلعة	العدد أو الكمية	السوق والمكان	التاريخ	الثمن	ملاحظات
الجواري	الجارية الواحدة	الكفرة	١٩١٦	٠٩ جنيهات مصرية	-
الجواري	الجارية الواحدة	الكفرة	١٩٢٣	٣٠-٤٠ جنيها مصريا	العبد أقل من ذلك بكثير
الهجين	الهجين الواحد	الكفرة	١٩٢٣	٠٩ جنيهات مصرية	-
الجمال	الجمل الواحد	الكفرة	١٩٢٣	١٢-١٨ جنيها مصريا	-
الجمال المؤجرة	الجمل الواحد	الكفرة	١٩٢٣	١٣,٥٠ جنيها مصريا	طيلة المدة التى يستغرقها السفر من الكفرة إلى واداى
البرتقال	البرتقالة الواحدة	درنة	١٩٣٣	مايعادل قرشين مصرية	-
طبق باميا وخس	الطبق الواحد	درنة	١٩٣٣	عشرة قروش مصرية	وجبة غذائية فى مطعم المدينة
رسم دخول الميناء للمسافرين	للفرد	درنة	١٩٣٣	١٦ قرشا مصريا	-
مسكن للإيجار	للفرد	بنغازى تاجوراء	١٩٣٣ ١٩٣٨	١٩ قرشا مصريا ٤٠ قروش مصرية	- شهريا
مسكن للإيجار	للفرد	بنغازى تاجوراء	١٩٣٣ ١٩٣٨	١٩ قرشا مصريا ٤٠ قروش مصرية	- شهريا

لقد اتفقت جل المصادر على أن الأسعار وخاصة ثمن الحاجيات الضرورية مثل: اللحوم والخضراوات ونحوها كانت عالية ومرتفعة سواء في المدن الساحلية مثل درنة وبنغازي وطرابلس وتاجوراء أو المدن والواحات الصحراوية مثل: الجغبوب وجالو وأوجلة والكفرة وأركنو والعوينات[٦٠]. كما أنه بسبب الفقر واهتزاز النظام المالي عرفت قبائل الصحراء نظام المقايضة، فعند الحدود المصرية الليبية استبدل الرحالة الفائض عن حاجتهم من علب الصفيح وزجاجات الأدوية والأسلحة مع السكان بكميات من الزبدة واللبن والتوابل والجلود[٦١].

وهكذا كانت أوجه النشاط الاقتصادي في ليبيا حسب انطباعات الرحالة

المصريين خلال الفترة المعنية، وهذه الرحلات رغم تباعد الفترات الزمنية بينها فإنها قدمت معلومات هامة عن النشاط الاقتصادي في ليبيا وعن الحياة الاقتصادية فيها، وتركت معلومات أخري ذات أهمية بالغة في كشف النقاب عن جوانب هامة في الحياة الاقتصادية، وثمة ملاحظات عامة لكنها جديرة بالذكر والاهتمام يمكن استعراضها وفقا لما يلي:

أولا: تأكد بما لا يدع مجالا للشك وكما أشارت إلى ذلك الكثير من المصادر الإهمال العثماني لمرافق الحياة في ليبيا بشكل عام وفي مدينة طرابلس بشكل خاص قبيل الغزو الإيطالي. ورغم معرفة الحكومة العثمانية بحجم المخاطر التي تواجهها البلاد والتربص الإيطالي بها، إلا أنها تركت للتغلغل الأجنبي عامة والإيطالي بشكل خاص مجالا مفتوحا، بدليل أن الإشراف على النقل البحري كان أجنبيا، وليس للعثمانيين أية دور فيه، ناهيك ـ كما ذكر محمد فريد المحامي ـ عن إهمال وسائل الدفاع عن البلاد، واكتفت الحكومة العثمانية بفرض الضرائب، والاهتمام بكيفية جبايتها من الليبيين وحسب[٦٢].

ثانيا: كانت الحياة الاقتصادية في الواحات والمدن الليبية الصحراوية تقوم على الاهتمام بزراعة النخيل وتربية ورعي الإبل، وإن ظلت التجارة هي المورد الأساسي والنشاط الرئيسي، وشكلت سيوة وواداي والسودان مصادر هامة تغذي الأسواق الليبية بمختلف البضائع التجارية، وشكلت الأسواق الليبية في الكفرة وجالو وأوجلة والجغبوب همزة الوصل في تجارة الشمال مع الجنوب والعكس، وخاصة قبل فرض الحصار الإيطالي على المدن الليبية الجنوبية التي تضامنت مع حركة المقاومة بزعامة عمر المختار، فيذكر أن الإيطاليين قد منعوا ـ بسبب انقطاع العلاقات مع السنوسيين ـ إرسال البضائع من بنغازي وغيرها من مدن برقة إلى الدواخل الليبية، ولذلك ارتفعت أثمان الحاجيات ارتفاعا كبيرا وسريعا في الأسواق بالمدن والواحات الصحراوية، أو القريبة منها مثل: إجدابيا[٦٣].

إن هذا الأمر ساهم على صعيد آخر في ازدياد حركة التبادل التجاري، فتجار المجابرة من أهل جالو لما سمعوا بحالة التجارة في جهات الشمال، وكان

معهم بضائع كثيرة من مصر لم يترددوا في الاستفادة من هذه الفرصة وغيروا وجهتهم، فساروا شمالا بدلا من أن ينحدروا جنوبا وباعوا بضائعهم في إجدابيا، وشرعوا في جلب السلع المربحة من الجنوب(٦٤).

ثالثا: رغم الدعاية الإيطالية الكبيرة التي وضعت وفقا لخطة مدروسة بعناية واعتمدت على أساليب دعائية داخلية وخارجية غاية في البراعة بأن الرفاهية في انتظار الليبيين في ظل الحكم الفاشي، وأن الرخاء والازدهار قد عم ليبيا بعد توقف المقاومة عام ١٩٣٢م فإنها كانت دعاية كاذبة تماما ولم تنطل على الكثير من الليبيين الذين رأوا أن ذلك الازدهار مجرد وهم، فالرحالة المصريون وخاصة الذين زاروا المدن الساحلية الليبية خلال تلك الفترة قد أكدوا على أن أسعار الحاجيات الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن كانت غالية ومرتفعة جدا، وأن البلاد تعتمد على ما يأتيها من الخارج فقط(٦٥).

لقد أكد الجنرال غراسياني قائد العمليات العسكرية في منطقة الجبل الأخضر على غلاء أسعار المواد الغذائية الأساسية في الأسواق الإيطالية بالمدن الليبية مقارنة بمثيلاتها بالأسواق المصرية وعلى رأسها سوق السلوم، الذي تزايدت فيه وبشكل كبير حركة التبادل التجاري مع معسكرات المجاهدين وبطبيعة الحال مع الأسواق الليبية في الدواخل(٦٦).

لقد أكدت بعض كتب الرحالة على أنه بسبب حالة الفقر المدقع الذي كانت تعيشه معظم قبائل الصحراء بسبب الحصار الإيطالي فإن بعض أفراد قبائل التبو والجرعان كانوا يجففون لحاء النخل ويطحنونه، ويضيفون إليه بلحا وجرادا مسحوقين، أو يطحنون حبات نبات الحنظل مع التمر أو الجراد ويأكلونه بعد ذلك(٦٧)، كما أكدت كتب الرحالة على صعيد آخر بأن الإيطاليين اهتموا بفرض الضرائب الباهظة على الليبيين بشكل أساسي، ومن ثم أصبح أهالي ليبيا يشعرون بوطأتها ويرون أنها أشد وبالا من ضرائب العهد العثماني(٦٨).

وهكذا تبدو أهمية كتب الرحالة المصريين التي استعرضت محتوياتها فيما

يخص الحياة الاقتصادية في ليبيا خلال الفترة المشار إليها، ورغم القصور الذي اعتراها في بعض النواحي وقلة المعلومات التفصيلية، إلا أنها قدمت معلومات غاية في الأهمية، خاصة وأن تاريخ الاقتصاد في ليبيا في تلك الفترة لازال يحتاج للمزيد من الدراسات والأبحاث، لكشف جانب من الغموض الذي يكتنف مسألة تمويل المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي من الداخل من جهة، ومسألة الحياة الاقتصادية للقبائل والمدن الليبية في ظل ذلك الاحتلال من جهة ثانية.

الهوامش

(١) نستثني في هذا المقام صنفين من زائري ليبيا خلال هذه الفترة، الصنف الأول من المصريين الذين جاءوا إليها لظروف دولية، ومن ثم اهتمت كتاباتهم ومذكراتهم بالجوانب العسكرية والسياسية بشكل رئيسي، ولم تبد اهتمامًا يذكر بالحياة الاقتصادية من هؤلاء نذكر: محمد لطفي المصري، الذي حارب مع القوات العثمانية في جبهة بنغازي خلال الحرب العثمانية الإيطالية ١٩١١-١٩١٢م، وفي فترة لاحقة من رجوعه إلى مصر وضع كتاب تاريخ حرب طرابلس، وعبد الرحمن عزام السياسي المصري المعروف، والذي جاء إلى ليبيا إبان الحرب العالمية الأولى وغادرها أواخر ١٩٢٢، ثم وضع مذكراته أو ذكرياته المنشورة في كتاب باسم صفحات من المذكرات السرية لعبد الرحمن عزام لمعدها جميل عارف، ومحمد صالح حرب، الذي اشترك بمن تحت إمرته من الضباط والجنود المصريين مع المجاهدين في قتال القوات الإنجليزية إبان الحرب العالمية الأولى، وبعيد عودته إلى مصر عام ١٩٢٤م وضع مذكراته التي نشرت أولا في مجلة الشبان المسلمين في فترة الخمسينات والستينيات من القرن الماضي، ونشرها مؤخرا محمود دياب في كتاب أسماه أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر. أما الصنف الآخر من أولئك الزائرين من غير المصريين فجاءت بهم إيطاليا الفاشية لتلميع صورتها في ليبيا، وعلى رأس هؤلاء: الشيخ محمد نور بكر الذي زار ليبيا عامي ١٩٣٦/١٩٣٧ وكتب باستفاضة عن المشاريع الإيطالية فيها، من خلال كتابيه المشهورين، إيطاليا في مستعمراتها، وليبيا الإيطالية رقيها عمرانيا واجتماعيا وثقافيا، حيث أكد في هذين الكتابين على أن إيطاليا حريصة على خدمة المسلمين في ليبيا وغيرها من البلدان، بدليل تلك الإنجازات التي تحققت في ليبيا في العهد الفاشي على مختلف الأصعدة، لمزيد من الاطلاع أنظر: محمد نور بكر، إيطاليا في مستعمراتها، مطبعة الإخاء بمصر، القاهرة، ١٩٣٧؛ أيضا: محمد نور بكر، ليبيا الإيطالية رقيها عمرانيا واجتماعيا وثقافيا، مطبعة الإخاء، القاهرة، ١٩٣٨، وللمزيد حول دور الشيخ محمد نور بكر في خدمة السياسة الفاشية الإيطالية في مصر وليبيا أنظر: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، المحفظة رقم ١٢٠، الملف رقم ٢/١٢٠/٣، رسالة حكمدار بوليس مصر بتاريخ ١٩٣٩/٩/٢٤ إلى مدير عام عموم الأمن العام بوزارة الداخلية المصرية حول نشاط الشيخ محمد نور بكر في الأزهر، وما يقوم به من دور في إطلاع المفوضية الإيطالية على نشاط الطلاب الليبيين الدارسين بالأزهر، وانظر في ذات المحفظة والملف رسالة عن ذات الموضوع مرسلة من وزير الداخلية المصرية إلى رئيس مجلس الوزراء المصري بتاريخ ١٩٣٩/١٢/٥؛ أيضا: مركز

جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، الوثائق العربية، الملف رقم ١٤ ملف شكري فيصل، الظرف الرابع، الوثيقة رقم١٨، رسالة أبى القاسم سعيد الباروني بمصر إلى عمر فائق شنيب بسوريا بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٥٥ هـ/ ١١نوفمبر ١٩٣٦ بشأن الدعاية الإيطالية في مصر ودور الشيخ محمد نور بكر فيها؛ الظرف السادس الوثيقة رقم ٢٥ رسالة من محمد الأخضر العيساوي بمصر إلى عمر فائق شنيب بسوريا بتاريخ ١٩٣٨/٤/٣ حول اجتماع السفير الإيطالي بالقاهرة بعدد من الطلاب الليبيين الدارسين بالأزهر، وما تضمنه الاجتماع من كلمات أشادت بإيطاليا تلاها بعض الحاضرين منهم الشيخ محمد نور بكر.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن كتب الرحالة المعنيين بالدراسة قد أشير إليها بشكل مفصل ضمن الدراسة الجدية والأولى من نوعها ـ على ما أعلم ـ فيما يخص دور المؤرخين المصريين في تناول جانب من التاريخ الليبي الحديث والمعاصر والتي تقدمت بها الباحثة: وفاء بلعيد القائد لنيل درجة الماجستير من جامعة المرقب (ليبيا) ومن ثم للمزيد حول هؤلاء المؤرخين وطبيعة كتبهم ومنهجهم في كتابة التاريخ الليبي أنظر: وفاء بلعيد القائد، الكتابة التاريخية المصرية حول تاريخ ليبيا ١٩١١-١٩٥٢، رسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ كلية الآداب والعلوم بترهونة جامعة المرقب، وأجيزت تحت إشراف: د. محمد علي التركي، ٢٠٠٥، ص ٣٣-٣٥، ٣٨، ٥٣، ٨٨، ١٠٤، ١١٥-١١٧ .

(٣) محمد فريد المحامي، من مصر إلى مصر رحلة سنة ١٩٠٢م ببلاد إيطاليا وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومالطة، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠٢، ص ١٣١-, ١٣٧

(٤) للأسف لا تسعفنا المصادر بأية معلومات عن تعاون محمد فريد مع الايطاليين في هذه الفترة، ولكن الدلائل التي بين أيدينا تؤكد ذلك، فبالنسبة لإيطاليا كان تكليف شخصية مسلمة لتقوم برصد أحوال مدينة طرابلس أكثر جدوى من اختيار شخصية مسيحية، وخاصة مع تنامي الشعور المعادي للتغلغل الايطالي في ليبيا في تلك الفترة، مع التذكير بأن الشخصيات التي قدمت لها المساعدة لزيارة ليبيا كان معظمها لا يعي حقيقة النوايا الايطالية تجاه المنطقة بشكل عام وتجاه ليبيا بشكل خاص، ومن ثم جاء أولئك الرحالة إلى ليبيا لنقل ما شاهدوه للرأي العام العربي والإسلامي ليس إلا، والتقت هذه الرغبة الايطالية مع أمنيات أولئك الرحالة الذين ينشدون معرفة أحوال القطر الليبي المجاور لمصر وغيره من أقطار العالم، للمزيد عن الأنشطة الإيطالية في مصر في هذه الفترة وخاصة انطلاق العمل الاستخباراتي المكثف تجاه استعمار ليبيا أنظر:

II R. Agente E Console Generale in Egitto (Tugini) al Ministro Degli affari Esteri, Cairo, 24, April, 1901.

المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، الملف رقم ٢٧ ملف محمد على السنوسي، الوثيقة رقم ١٩ . ولتفاصيل أوفي أنظر: كارلو

قوتي بورشيناري، العلاقات العربية الإيطالية ١٩٠٢-١٩٣٠ من مذكرات أنريكو انسباتو، ترجمة: عمر الباروني، مراجعة: عبد الرحمن سالم العجيلي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٠، ص١٤-١٧٣ .

Anna Baldinetti, Orientalismo E Colonialismo la ricerca di Consanso in Egitto per L'Impresa di libia, Prasentazione di Salvatore Bono , Roma, 1997, pp40-150.

أيضا: وهبي البوري، بنك روما والتمهيد للغزو الإيطالي لليبيا، مجلس الثقافة العام، سرت، طرابلس، بنغازي، ٢٠٠٦، ص٤٧-٩٠؛ أيضا: مفتاح بلعيد غويطة، النشاط الإيطالي في مصر تجاه استعمار ليبيا١٨٨٢-١٩٤٣م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه قسم التاريخ كلية الآداب جامعة الزقازيق، أجيزت تحت إشراف: د. عبد الوهاب بكر محمد و د. محمد عبد الله النقيرة، ٢٠٠٧، ص ٥٢-٩٦ .

(٥) المحامي: المصدر السابق، ص ١٣٣ -١٣٧ .

(٦) أحمد حسنين باشا، رحله في صحراء ليبيا، جزءان، د.ن ، القاهرة، ١٩٢٦، ص١٤-١٥ .

(٧) المصدر نفسه، ص١٣-١٧ .

(٨) أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، الحولية الثالثة لسنة ١٩٢٦، مطبعة حوليات مصر السياسية، القاهرة ، ط/١، ١٩٢٩، ص ٩٨-١٠١ ؛ أيضا: فاطمة علم الدين عبد الواحد، حدود مصر الغربية دراسة وثائقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٧٣ -١٧٧ . وتجدر الإشارة إلى أن التقارير التي أوردها أحمد حسنين في كتابه عن الحدود الليبية المصرية قد قدمها الساسة المصريون ضمن الوثائق التي تؤكد ملكية مصر لبعض المناطق والواحات المحاذية لأراضيها وهي حينذاك ضمن الأراضي الليبية، خلال المداولات التي جرت بخصوص تصفية المستعمرات الإيطالية بعد الحرب العالمية الثانية، للمزيد أنظر: وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، المحفظة رقم ١٤٥٤، الملف رقم ١/١/١٠١ .

(٩) محمد ثابت، جولة في ربوع العالم الإسلامي من مشاهدات سائح مصري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٩، ص ٦.٣، ٣٤١-٣٤٧ .

(١٠) مفتاح بلعيد غويطة، مدينة طرابلس ضمن مخططات جهاز الدعاية الإيطالي في مصر١٩٠٠ - ١٩٣٩م بحث غير منشور قدم للمؤتمر التاسع للجمعية الليبية التاريخية المنعقد بطرابلس، مارس ٢٠٠٧، ص١٢ .

(١١) توفيق حبيب، رحلات الصحفي العجوز، جمع: عبد الله حبيب، مطبعة الأمانة، القاهرة ، ١٩٣٩، ص١٩٨-٢٦٣ .

(١٢) غويطة، مدينة طرابلس...، ص١٣ .

(١٣) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٠٠-٢١٠ .

(١٤) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦، ١٣٨ .

(١٥)الليتوريا والليتوري مدلول كلمات وشعارات فاشية، فشركات الطيران الإيطالية سميت بالليتوريا، وهناك شركات أخري سميت بأسماء متقاربة تحمل شعار الفاشية، والليتوريو في أصلها تعني الشبيبة الفاشية، والكلمة ليست بغريبة عن توفيق حبيب؛ نظرا لكثرة استخدامها لدي الجالية الإيطالية في مصر، ونظرا لأنشطتها الكبيرة في القطر المصري لدرجة اعتناق بعض الشبيبة المصري لأفكارها وتقليدهم إياها في اللباس والتدريبات، أضف إلى ذلك تعاون توفيق حبيب نفسه مع جهاز الاستخبارات الفاشي في مصر، فلا عجب من معرفته بالمصطلح المتداول الاستخدام، للمزيد حول الكلمة ونشاط فرقة الليتوريو في مصر أنظر:

Angelo Sammarco, La Colonia Italiana in Egitto, Capitolo II, pp59-60.

(تقرير غير منشور المحفظة رقم٦٣ وثائق الأرشيف الإيطالي، دار الوثائق المصرية القاهرة)

Angelo Sammarco,, Civiltâ Italiana Nel mondo in Egitto, Roma,1939, pp55-56.

(١٦) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص ٢١٩-٢٢٤، ٢٤٣ .

(١٧) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص١٠٧ .

(١٨) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣٨ .

(١٩) محمد ثابت، المصدر السابق، ص ٣٤٦-٣٤٧ .

(٢٠) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢١١، ٢٢٤، ٢٤٨ .

(٢١) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٢ .

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٣-٣٤٥؛ أيضا: توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٥٤، ٢٥٨ .

(٢٣) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١، ٧٧، ١٠٧، ١٩٧-١٩٨ .

(٢٤) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢١٦، ٢٣٢ .

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٨-٢١١، ٢٢٤، ٢٤٨؛ أيضا: محمد ثابت، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٦٣، ٧٦-٧٧، ٩٧، ١٠٨-١٠٩، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٢٤-٢٢٥ .

(٢٧) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣١ .

(٢٨) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٧ .

(٢٩) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٤٢-٢٤٥ .

(٣٠) محمد ثابت، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٤ .

(٣١) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص٤٠-٤١، ٥٤ .

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩، ٩٢ . ويذكر الرحالة أحمد حسنين في كتابه ص ٢١٩ ٢٢٠، ٢٢٩- ٢٣٠ أنه يوجد بواحتي أركنو والعوينات الحشائش والعوسج وبعض الأشجار الأخرى مثل أشجار الميموزا وشجيرات أخرى تشبه رائحتها النعناع والحنظل.

(٣٣) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص١٦٩، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٨ .

(٣٤) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص ٢٤٣-٢٤٤، ٢٤٧ .

(٣٥) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص٤٤، ٧٣، ٨٨-٨٩، ١٠٤-١٠٥، ١٤٤-١٤٥، ١٩٩،٢٠٣، ٢١٩-٢٢٠ .

(٣٦)المصدر نفسه، ص١٠٤-١٠٥، ١٤٣-١٤٤، ٢٠٣ .

(٣٧) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٣٨ .

(٣٩) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٧ .

(٤٠) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٣٩ .

(٤١) المصدر نفسه، ص٢٠٩-٢١٠، ٢٥٢، ٢٥٥ ، ٢٥٨، ٢٦٣ .

(٤٢) محمد ثابت، المصدر السابق، ٣٤٤ .

(٤٣) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٦٤ .

(٤٤) حسنين، المصدر السابق، ص ٢٥، ٢٨، ٤٤، ١٠٧ ،١٢٧، ١٥١-١٥٢، ١٨٠، ١٩٤، ، ٢٢٠

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٤٩ .

(٤٦) المصدر نفسه، ص٢٣٠ .

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٠- ٣٣، ١٠٧، ١٣٦، ١٧٣، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٧ .

(٤٨) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢ ، ١٣٥ .

(٤٩) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤١- ٣٤٦ .

(٥٠) المصدر نفسه، ص٣٤٣ .

(٥١) توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٥٩ .

(٥٢) المصدر نفسه، ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٥٣) المحامي، المصدر السابق، ص١٣١-١٣٣، ١٣٧ .

(٥٤) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨ .

(٥٥) المصدر نفسه، ص٣٧، ٦٥، ٩١- ٩٣، ٩٨، ١١٤ .

(٥٦) المصدر نفسه، ص٢٢، ٤٠-٤١، ٥٤، ٩١-٩٢، ١٤٤ .

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٧-٣٣، ٤٠-٤١، ٧٧، ٨٤ ،١٠٧، ١٠٩، ١٥٥ ، ١٨٨- ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨- ١٩٩ .

(٥٨) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٢؛ أيضا: توفيق حبيب، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١١ .

(٥٩) اعتمدت في إعداد بيانات هذا الجدول على ما جاء في كتب الرحالة فيما يخص تسعيرة بعض البضائع والحاجيات، وسيلاحظ القارئ أن العملة النقدية المعتمدة هنا هي العملة المصرية بالنظر لمصرية الرحالة أنفسهم، وتجدر الإشارة إلى أن محمد فريد المحامي لم يعط في كتابه أية بيانات تتعلق بالأسعار وهذا راجع لقصر المدة التي قضاها بمدينة

طرابلس فلم يتسن له الوقت الكافي للوقوف على الأسعار وما شابه ذلك. بخصوص بيانات الجدول انظر: أحمد حسنين، المصدر السابق، ص ١٠٥، ١٩٩-٢٠٠، ٢٠٤؛ أيضا: محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٠-٣٤٣؛ أيضا: توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٤٥، ٢٤٩-٢٥٠ .

(٦٠) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص ١٩٩؛ أيضا: محمد ثابت، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٤، ٣٤٧؛ أيضا: توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٤٥، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥٦ .

(٦١) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص ٢٥ .

(٦٢) المحامي، المصدر السابق، ص ١٣٧ . وتجدر الإشارة إلى أن محمد فريد المحامي بإشارته لوعي سكان طرابلس بالخطر الإيطالي ببلادهم قد كذب رأي بعض كتاب الغرب بأن سكان الولاية كانوا لا يتوقعون الغزو الإيطالي وأنهم فوجئوا به عقب وقوعه، ويشاطر بعض الباحثين الرحالة محمد فريد في معلوماته، ويفندون الآراء الغربية بالخصوص، أنظر على سبيل المثال: أحمد صدقي الدجاني ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي: أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني ١٨٨٢ -١٩١١، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٩٧١، ص ٣٥٦؛ أيضا: عبد المولى الحرير، التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه، منشور ضمن كتاب: بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، جـ/ ٢، تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين، تحت إشراف، صلاح الدين حسن السوري، وحبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدارسات التاريخية، طرابلس، ط/٢، ١٩٩٨، ص ٤٢-٥٣ .

(٦٣)أحمد حسنين، المصدر السابق، ص٩٧-٩٨ .

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٩٨ .

(٦٥) أحمد حسنين، المصدر السابق، ص ١٩٩؛ أيضا: محمد ثابت، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٤، ٣٤٧؛ أيضا: توفيق حبيب، المصدر السابق، ص٢٤٥، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥٦، وفيما يخص الدعاية الفاشية في مصر التي قصد من ورائها تمجيد أعمال الفاشية في ليبيا وإقناع الليبيين بها والرضا بالحكم الايطالي والتقرب من العرب والمسلمين أنظر بتوسع المصادر والمراجع الآتية:

Messaggero Egiziano, 20 Agosto 1929; 26 Settember 1929;
L'Imparziale, 3 Gennaio, 1926, 6, Luglio, 1929; 10, Luglio, 1929.
Il Giornal D'Oriente, 14 Febbraio 1936; 14 Marzo 1936 ; 30 Gennaio 1936.

أيضا: وثائق وزارة الخارجية المصرية الأرشيف السري الجديد، المحفظة رقم ٤٢٣، الملف رقم١١٧/٦٥/١، رسالة وكيل وزارة الحربية المصرية إلى وكيل وزير خارجيته بتاريخ ٤ يناير ١٩٣٩ بشأن الدعاية الإيطالية في مصر وعلى الأخص منطقة الصحراء الغربية؛ لإغراء الليبيين بالعودة إلى ليبيا، واشتملت الرسالة على معلومات عن الدعاية لإيطاليا

التي كانت تقوم بها مجلة ليبيا المصورة؛ وثائق وزارة الحربية والبحرية(محافظ مكتب المشير)، المحفظة رقم ١٨، الملف رقم ١/١٨/٢ تقرير شهر ديسمبر ١٩٣٨، والمتضمن معلومات عن الدعاية الإيطالية في الصحراء المصرية الغربية، بما في ذلك توزيع أعداد من مجلة ليبيا المصورة الصادرة في بنغازي بالمنطقة. ومن جانب آخر فإن جهاز الاستخبارات الفاشي في مصر كان قد كلف بعض مجنديه بتوزيع مطبوعات دعائية في الصحراء المصرية الغربية عن إنجازات إيطاليا الفاشية في أفريقيا في المجالات كافة، مقرونا ذلك بتوزيع أعداد من مجلة راديو باري العربية انظر: وثائق وزارة الحربية والبحرية (محافظ مكتب المشير)، المحفظة رقم ١٩، الملف رقم ١/١٩/٢، رسالة مدير أمن البحيرة إلى مدير عام عموم الأمن العام بتاريخ ١٩٣٩/٥/١ بشأن توزيع المطبوعات الإيطالية الدعائية في بعض المناطق بما في ذلك البحيرة.

Steven Morewood, The British Defence of Egypt 1935-1940 Conflictand Crisis in the Eastern Mediterranean, Frank Cass London and New york, 2005, pp27-28.

أيضا: غويطة، النشاط الإيطالي في مصر...، ص ١٧٣-١٩٤ .

(٦٦) رودلفو غراسياني، برقة الهادئة، ترجمة: إبراهيم سالم بن عامر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط/٤، ١٩٩٨، ص ٨٨ - ٩٠ .

(٦٧) أحمد حسنين، المصدر السابق،، ص١٤٩، ٢٣٠ .

(٦٨) محمد ثابت، المصدر السابق، ص٣٤٧ . وعن الضرائب في العهد العثماني أنظر: المحامي، المصدر السابق، ص١٣٧ .